الإبداع والاتباع في تحريم وتجريم "الخنا والزنا"
سوس النخر الاقتصادي

الحلقة (١)

محمد ياسر الدباغ
مدقق لغوي

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحيمِ، والحمدُ له سُبحانَه وتعالى الدَّيانِ الحليمِ؛ الذي حرَّمَ الخَنا والبِغاء والزِّنا ما ظهرَ منهُ وما بَطنَ، وصلّى اللهُ وسلَّمَ على سيِّدنا مُحمَّدٍ ذي الحَياءِ والطُّهرِ العظيمِ، ورَضِيَ اللهُ عن آلهِ وصَحبِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ؛ مَن كانوا مثالَ الحِشمَةِ والحَياءِ والعِفَّةِ لهذه الأُمَّةِ إلى يومِ الدِّينِ، وعلينا معهُم بِرَحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحِمينَ، وبعدُ:

بادئَ ذي بَدءٍ لا بُدَّ من تعريفِ (الخَنا والبِغاء والزِّنا) لغةً واصطلاحاً وإشارةً.

"لغةً" : خَنا: أفحشَ في مَنطِقِه. الخَنا: الفُحشُ في الكلامِ. الخَنْوة: الغَدرةُ. "إشارةً" خبثٌ، خديعةٌ، خلاعةٌ نكر، نجس،

فَحُشَ القولُ والفعلُ فُحشاً: اشتدَّ قبحُه. والأمرُ: جاوزَ حدَّهُ فَحُشَ على مَن مَعَهُ؛ فهُوَ فاحِشٌ وفحَّاشٌ. بالفُحشِ.. أفحَشَ: أتى بالفُحشِ. أفحشَ عليه في المنطِقَ.

تفاحشَ: أظهرَ الفُحشَ، والقومُ: تَرامَوا بالفُحشِ. تفحَّشَ تفاحُشاً. وبالشيءِ: شنَّعَه، و"الفاحشة" : مُؤنَّثُ الفاحشِ، والقبيحُ الشنيعُ من (قولٍ أو فعلٍ). والجَمعُ: فواحِشُ.

فجَر: فجْرةً وفِجاراً فجارا: شاركَ في الفُجورِ. وفلانٌ عن الحقِّ: عَدَلَ. وأفجَرَ: فَسَقَ. ومالَ عن الحقِّ. وفُلاناً: وَجدَهُ فاجِراً. فجْراً وفُجوراً: انبعثَ المعاصي غيرَ مُكترثٍ. الفاجِرُ: الفاسقُ غيرُ المُكترِثِ ويتعلم الفجور. ووَصفُ المَرأةِ (فُجارٌ) وهو مَعدولٌ عن الفاجِرَةِ, فاجَرَ مُفاجَرةً وفِجاراً: شارك في الفجور. وافتجرَ الكلامَ: اختلقَه مِن غَيرِ أنْ يسمَعَهُ من أحدٍ.

ويمينٌ فاجِرةٌ: كاذبةٌ. قال تعالى: "إنَّ الفُجَّارَ لَفي جَحيمٍ" وقال عزَّ وجلَّ: "أولئكَ هُمُ الكفَرَةُ الفَجَرَةُ.

بغاءً: بغَى فُلانٌ بَغياً: تجاوزَ الحدَّ واعتدَى وتسلَّطَ وظلَمَ وسعَى خارِجاً على القانونِ.

وبَغَتِ المرأةُ بِغاءً: فَجَرَتْ. والبغيُّ: الفاجِرةُ تتكسَّبُ بِفُجُورِها، وجمعُها بَغايا. ويستوي فيه الرجلُ والمرأةُ. ومَهرُ البَغيِّ: ما تأخذُه الزَّانيةُ على الزِّنى وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن "..، مَهرِ البغيِّ،.." وهو ابنُ بَغيَّةٍ: ابنُ حرامٍ.

"إشارةً" : بلادةٌ، بلاءٌ، بَطَرٌ، بطالةٌ، غِشٌّ، غبنٌ.

طغَى: تجاوزَ الحدَّ الشرعيَّ والأخلاقيَّ الإنسانيَّ.

ومِن معاني الزِّنا: الضيقُ، والاحتِقانُ، واللزقُ، واليبسُ، والتُّهمةُ، والحَبْسُ، والزور. زنى: أتى المرأةَ مِن غيرِ عقدٍ شرعيٍّ.

"إشارةً" ز: زيغٌ عن الحقِّ، زوغانُ القلبِ، زيفُ الواقعِ. ن: نقصُ العقلِ، ونخسُ السوقِ، ونُكرُ الفعلِ.

الزِّنةُ التُّهمَةُ. زنَى بالمرأةِ فهو زانٍ، والجمعُ زُناةٌ وهي زانيةٌ وأزناهُ حَمَلَهُ على الزِّنى ونَسَبَهُ إليه.

والزَّنَّاءُ: الكثيرُ الزِّنى. الزَّنية: يقال هو ابنُ زنيةٍ – بفتح الزاي وكسرها –. والجمعُ زَوانٍ. وأبو زنَّةَ: كُنيةُ القِردِ. وهذا تشابُهٌ وتشاكُلٌ بين سُلوكِ الزُّناةِ والقرودِ.

عن عَبدِ اللهِ بن مَسعُودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسلمٍ إلاّ بإحدَى ثلاثٍ: .. الثيِّبِ الزَّاني". أيّ: لا يحلُّ إراقةُ دَمِه، أو إزهاقُ رُوحِه؛ لأنّ الأصلَ في الدماءِ العِصمةُ (عقلاً ونقلاً)؛ أمّا عقلاً: فلأنَّ في القتلِ إفسادَ الصُّورةِ الإنسانيةِ المخلوقةِ في أحسنِ تقويمٍ، والعقلُ السليمُ يأبى ذلكَ ويُنكِرُه، وأمّا نقلاً فلقولِه تعالى: "ولا تَقتلُوا النَّفْسَ التي حرَّمَ اللهُ إلاّ بالحَقِّ". وقَولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: "مَنْ أعانَ على قَتْلِ مُسْلِمٍ ولو بشَطرِ كَلمةٍ لَقِيَ اللهَ مَكتوباً بينَ عَينَيه آيسٌ من رَحمَةِ اللهِ".

إنّ ارتكابَ إحدى واحدةٍ منها فيُحِلُّ القتلَ؛ لِما فيه من المصلَحةِ العامَّةِ، وهي حفظُ (الأديانِ، والنفوسِ، والأنسابِ).

والثيِّبُ: اسمُ جِنْسٍ يشملُ الذَّكَرَ والأنثى، والمُرادُ به "المُحصَنُ": وهو مَن وطِيءَ في القُبْلِ في عَقدٍ صحيحٍ، وهو (مُسلمٌ، حُرٌّ، بالغٌ، عاقلٌ) فهذا إذا زَنا يَحِلُّ دَمُهُ؛ بمعنى: أنّه يُرجَمُ بالحجارةِ من قِبَلِ قاضٍ شرعيٍّ إلى أنْ يموتَ، والمختارُ أن تكونَ مِلءَ الكفِّ، ولا يجوزُ قتلُه بغيرِ ذلك إجماعاً، و"غيرُ المُحصَنِ" إذا زنا يُجلَدُ مائةً ويُغرَّبُ عاماً إن كانَ حُرّاً، و"الرَّقيقُ" على النِّصفِ من ذلكَ هذا هو الأصحُّ من مذهبِ الشافعيِّ، ونُقِلَ عن الثلاثةِ أنّه لا يُغرَّبُ وهو قولٌ للشافعيِّ. وهذا يتبعُ للسياسةِ الشرعيَّةِ لِما فيه من تَركِ أماكنِ الفسقِ، وإذهابِ نوازعِ الزّاني إلى ذلكَ المَعصيةِ، وحتّى لا يُعيَّرَ؛ فيحصلَ (التأديبُ، والزجرُ، والردعُ).

قال العلماءُ الأجلاّءُ: مَن ماتَ من غيرِ حَدٍّ ولا توبةٍ؛ عُذِّبَ في النارِ بسياطٍ من نارٍ. ووَرَدَ أنّه مكتوبٌ في الزَّبورِ: "إنّ الزُّناةَ يُعلَّقونَ بفُروجِهم ويُضرَبونَ عليها بسياطٍ من حديدٍ؛ فإذا استغاثَ أحدُهم من الضربِ نادتْه الزَّبانيةُ: أينَ كانَ هذا الصوتُ وأنتَ تضحكُ وتفرحُ وتمرحُ ولا تُراقِبُ اللهَ تعالى ولا تستحي منه" – تمرحُ: شدَّةُ الفرحِ –.

وهذا دليلٌ على تحريمِ وتجريمِ الزِّنا في الشرائعِ السماويَّةِ كافَّةً حتّى عند يَهود قال تعالى: "وآتَينَا داوودَ زَبُوراً". وقد وَرَدَ في الحديثِ الشريفِ: "احذَرُوا الزِّنا؛ فإنّ فيه ستَّ خصالٍ: ثلاثةً في الدُّنيا، وثلاثةً في الآخرةِ؛ فأمّا التي في الدُّنيا؛ فإنّهُ (يُذهِبُ البهاءَ من الوجْهِ، ويُورِثُ الفقرَ، ويُنقِصُ الرِّزقَ)، وأمّا التي في الآخرةِ؛ فيَنظرُ اللهُ تعالى إليه بعَينِ الغَضبِ فيَسودُّ وجْهُه، والثانيةُ: يكونُ حسابُه حساباً شديداً، والثالثةُ: يُسحَبُ في سِلْسلةٍ إلى النَّارِ". أمَّا عن

(قبائحِ الزِّنا) أنّه: "يُورِث القتلَ والطاعونَ؛ لخبرِ الحاكمِ عن ابنِ مَسعودٍ رضيَ اللّهُ عنه: "إذا كَثُرَ الزِّنا كَثُرَ القتلُ ووَقَعَ الطاعونُ" وعن بُريدةَ مَرفوعاً: "ما ظَهرَتِ الفاحِشَةُ في قَومٍ قطُّ إلاّ سلَّطَ اللّهُ عليهِم المَوتَ".

وقال سيِّدُنا عثمانُ بنُ عفَّان رضيَ اللّهُ عَنهُ: "وَدَّتِ الزَّانيةُ لو أنّ كُلَّ النِّساءِ زَنَينَ". وهذا انتقامٌ نفسيٌّ وحِقدٌ دفينٌ ناتجٌ وناجِمٌ عن الزِّنا؛ حتّى يقعَ غيرُها في مُستنقَعِ الرَّذيلةِ. وهذا ثابتٌ في علمِ النَّفسِ والطبِّ (سُلوكاً وواقعاً) ولا يُنكِرُه إلاّ (جاحِدٌ مُكابِرٌ، أو كثيفُ الحِجاب، أو منكوسُ القلب).

ومِن قبائحِه الشنيعة: أنَّه يُفعَلُ مِثلهُ في ذُرِّيَّةِ الزّاني أو زوجَتِه؛ فـ(السعيدُ: مَن حَفِظَ فرجَهُ، وغَضَّ بَصرَهُ، وكَفَّ يدَه). ومِن المعلومِ أنّ الزِّنا يُعتبَرُ من (أفحشِ وأكبرِ) أنواعِ الكبائرِ بعدَ الرِّدَّةِ والقتلِ ظُلماً والرِّبا. أمّا مَن غضَّ بَصرَه عن المَحارِمِ وكفَّ نفْسَه عن الشهواتِ وعَمَرَ باطِنَه بالمُراقبةِ وتعوَّدَ أكلَ الحلالِ لم تُخطِئْ فَراستُه.

وما أحسنَ قولَ بعضِهم:

إذا طالَبَتكَ النفْسُ يوماً بِشَهوةٍ ... وكانَ عليها للخِلافِ طريقُ

فخالِفْ هَواها ما استطَعتَ فإنَّما ... هَواها عدوٌّ والخِلافُ صديقُ

إنَّ المتأمِّلَ في واقعِ الحياة (الفرديِّ، والأُسريِّ، والعالَميِّ) يرى أنّ انحلالَ الإنسان و(تفلُّتَه، وانتكاسَه، وارتكاسَه، وتفسُّخَه) أوّلَ ما بدأ مِن فسادِ المرأةِ وإفسادِها، وسَعي دُعاةِ الانحرافِ والشهوةِ؛ لقضاءِ مُتعتِهم ووَطَرِهم بما يُرضي غرائزَهم الجنسيةِ الشَّبِقةِ؛ كيفَ لا وقد قال النبيُّ مُحمَّدٌ – الذي لا ينطِقُ عن الهوى – صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: "كيفَ بِكُمْ إذا طَغَى نِساؤكُمْ، وفَسَقَ شَبابُكُمْ، وتَركْتُم جِهادَكُم؟"

قالوا: وإنَّ ذلكَ لَكائنٌ يا رسولَ اللّه؟

قال: "نعَم – والذي نفْسي بِيَدِه – وأشدُّ مِنهُ سيكونُ. كيفَ أنتمْ إذا لم تأمُروا بِمَعرُوفٍ، ولم تنْهَوا عن مُنكَرٍ؟"

قالوا: وكائنٌ ذلكَ يا رسولَ اللّه؟

قال: "نعَم – والذي نفْسي بِيَدِه – وأشدُّ مِنْهُ سَيكُونُ"

قالوا: وما أشدُّ مِنْهُ؟

قال: "كيفَ أنتُمْ إذا رأيتُمُ المَعرُوفَ مُنكَراً، والمُنكَرَ مَعرُوفاً؟"

قالوا: وكائنٌ ذلكَ يا رسولَ اللّه؟

قال: "نعَم – والذي نفْسي بيدِه – وأشدُّ مِنهُ سيكُونُ".

قالوا: وما أشدُّ مِنهُ؟

قال: "كيفَ أنتُمْ إذا أمَرتُمْ بالمُنكَرِ، ونَهيتُمْ عن المَعروفِ؟"

قالوا: وكائنٌ ذلك يا رسولَ اللّه؟

قال: "نعَم– والذي نفْسي بيدِه– وأشدُّ مِنهُ سيكُونُ".

يقولُ اللهُ تعالى: " بِي حَلَفْتُ: لأُتيحَنَّ لَهُمْ فِتنَةً يَصيرُ الحَليمُ فيها حَيرانَ" . رواه أبو يعلَى .

فما أعظمَه من حديثٍ نبويٍّ شريفٍ يُبيِّنُ لِكُلِّ عاقلٍ كيف تنحدرُ الأُمَمُ، وكيف تنفصِمُ عُرى المجتمعِ، وكيف ينفرطُ عِقدُ الأسرِ تتابعت حبَّاتُه وتناثرَتْ، وكيف تصيرُ الأممُ كغُثاءِ السيلِ، وكيف تُصبحُ الأسرُ كبيتِ العنكبوتِ يُسلِمُ الرجلُ فيها قيادَه للمَرأةِ (فكريًّا، ونفسيًّا، وسُلوكيًّا)، وتنقلبُ الرُّجولةُ والأنوثةُ إلى خُنوثةٍ، وكما جاءَ في المثلِ العربيِّ الأصيلِ: "استنوقَ الجملُ واسترجلَت المرأةُ"؛ فلا تجِدُ معالِمَ وملامحَ الرُّجولةِ الحقَّةِ في الرَّجُلِ (شهامةً وشجاعةً وغَيرةً) على حُرماتِ اللهِ عزّ وجلَّ – إلاّ مَن رَحِمَ اللهُ – ولا ترى من صفاتِ وسماتِ الأنوثةِ الأصيلةِ في المَرأةِ (عِفَّةً، وحياءً، وحِشمةً) إلاّ مَن حَفِظَها اللهُ جلَّ جلالُهُ فصانتْ (عِرْضَها وكرامَتها وأنوثتَها) فبقيتْ دُرَّةً مَصونةً بين الناسِ.

إنَّ قابليةَ المرأةِ للإغراءِ والإغواءِ، وسعيَ أربابِ الفسقِ والفجورِ إلى تهيئةِ المُناخِ الموبوءِ لتلكَ التجارةِ الشيطانيةِ؛ من جَعلِ الأنثى (دُميَةً) يتلَهَّونَ بها، و(ألعوبةً) يستمتعونَ بها (تغزُّلاً وتغنُّجاً، مَيلا وتمايُلاً، تهتُّكاً وتهالُكاً) "دعوةٌ جاهليةٌ ودعايةٌ انحلاليةٌ" ينشرُونها، و(حصَّالةً) يُتاجِرونَ بها؛ "كشفاً لمفاتِنها، وتعريةً لجسدِها، وإماتةً لحيائِها، وانتكاسا لِفطرَتِها، وابتغاءَ نَشْرِ فكرةٍ دَسيسةٍ إباحيَّةٍ، وترويجاً لتجارةٍ خسيسةٍ إبليسيَّةٍ يبغونُها" كلُّ هذا وذاكَ جعلَ منها ثَمَرَةً مُتنمِرَةً مُتمَرِّدةً تتنمَّرُ على زوجِها، وتتمرَّدُ على شرعِ ربِّها وخالقِها؛ فتصبحَ كالأفعى –لا الأنثى– وكما قالَ أميرُ المؤمنينَ عليّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ: "المرأةُ عَقربٌ حلوةُ اللسعةِ" وهذا في الحلالِ؛ أمّا في الحرامِ؛ فحذارِ حذارِ من الشنارِ. وإيّاكَ إيّاكَ أن تتلطَّخَ بالدنسِ، أو أن ترعَى مع الهَملِ، وكما قيلَ: "العقربَ لا تَقرب"؛ والإباحيُّ: مَن يتحلَّلُ من قيودِ القوانينِ والأخلاقِ.

كيفَ لا ورسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ يقولُ: "اتَّقُوا الدُّنيا واتَّقُوا النِّساءَ؛ فإنّ أوَّلَ فتنَةِ بني إسرائيلَ كانتْ في النِّساءِ" (أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ في مُسنَدِه واللفظُ له وأخرجَهُ مسلمٌ وابنُ ماجَه).؛ أيّ: إنّ بَدءَ الانحرافِ والانجرافِ – الفتنةِ الأُولى، ونقطةَ (التحوُّلِ والتسفُّلِ) في ضَعفِ الغَيرةِ لدى الرِّجالِ، وفقْدَ الحياءِ عند النساءِ كانت الشرارةَ التي جَعلتِ المجتمعَ يموجُ في (سُعارٍ شهوانيٍّ، وشُيوعٍ إباحيٍّ) فنشأ ما يُسمَّى "التزاني بالتراضي" – قديماً وحديثاً – وشاعتِ (الخُنوثةِ والدِّياثةُ) بين كُبراءِ القومِ فتبعتْهُم سُفاؤهُم فصارتْ أعرافاً فاسدةً مُتجذِّرةً، وسُوقاً نافقةً تُؤوي إليها كلَّ (ساقطةٍ ولاقطةٍ)؛ فتساوى (السيِّدُ والعبدُ، والحُرَّةُ والأمَةُ)؛ أخلاقاً وسُلوكا!

فليحذرْ كُلُّ مَن له (شَرفٌ، ورُجولةٌ، وإباءٌ)، وكلُّ مَن لها (فطرةٌ، وكرامةٌ، وحياءٌ)؛ فـ "الحياءُ يَصدُّ عن فعلِ القبيحِ" من الجري خلفَ مُخلَّفاتِ الجاهليات الآسنةِ، والتقاليدِ البالية، والأزياءِ المستهجَنةِ، والتنازلاتِ لكلِّ فتَّانٍ زَنيمٍ؛ وقد قالَ الحبيبُ المُصطفى والسيِّدُ المُجتبى صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: "ما تَركْتُ فِتنَةً أضرَّ على رجالِ أُمَّتي من نِسائِها" .

فكَمْ ضاعتْ طاقاتُ كثيرٍ من الشبابِ والرِّجالِ في تُرَّهاتِ وتفاهاتِ قليلاتِ الحياءِ؟!؛ فـ "القحَة عنوانُ الشَّرِّ" وكَمْ هُدرَتْ كرامةُ كثيراتٍ من الإناثِ والنساءِ لقاءَ بعضِ الخَلواتِ والاختلاطاتِ واتخاذِ الرجالِ لهنَّ أخدانٍ وزميلاتٍ؟!

وكما قال أميرُ المؤمنينَ عليّ رضيَ اللهُ عنهُ: "الاستِظهارُ بالنساءِ شِيمةُ النوكى" – الحَمقى وأهلِ الغفلةِ –

حقّاً: إنّه انهزامُ النفسِ في مَعركةِ (المبادئ، والقِيَمِ، والشرفِ، والأخلاقِ).